مستقبل الأمة الاسلامية والدين القرآن الكريم

٢

تناول فضيلة الشيخ سليمان المدني في القسم الأول من المحاضرة المعنى المقصود من لفظ الامة الاسلامية وشرح المصطلحات التي تتعلق بهذا المعنى وذكر فضيلته ان لفظ الامة تطلق عادة على الجماعة وهي تطلق في مصطلح فقهاء القوانين الوضعية على الشعب، وفي القرآن الكريم يطلق لفظ الامة على كل كيان يجمع بين افراده مبدأ معين ثم تناول فضيلة المحاضر الاختلاف الذي حصل بين الامم التي انزل عليهم الكتاب ومحور اختلافهم في الكتاب المنزل امور عديدة منها حب السيطرة وحب الزعامة او بسبب عزة النفس او بسبب مصالح، وهذا الاختلاف ادى الى تعدد الامم وبالتالي تعددت المبادىء.

وفي هذا العدد يواصل فضيلة المحاضر الحديث في مستقبل الامة الاسلامية والدين كما جاء في القرآن الكريم.

فإذا والت الأمة الاسلامية أو جماعة منها أو فرد منها، فرداً يستهزىء بآيات الله ويناصر أعداء المسلمين عليهم أو والت جماعة او أمة اخرى تناصر عدواً من أعداء المسلمين عليهم، فإن من يفعل ذلك إنما يعلن للملأ عدم تمامية إيمانه المطلوب لتحقيق الوعد الالهي. فالايمان بالله لا بد من أن يحتوي على نبذ كل ما سوى الله، وأن يخلص الولاء لله.

«الذين آمنوا وعملوا الصالحات..» ما هو العمل الصالح الذي جعله الله شرطاً ثانياً في تحقيق هذا الوعد الالهي ؟

عمل الصالحات يعني أن تلتزم الامة بالاسلام، إن الله لم يعط العهد للمسلم الفرد بأن يجعله خليفة في الارض، وإنما أعطى هذا العهد بصيغة الجمع «الذين آمنوا..» أي أن العهد معطى للأمة، وجود أشخاص يلتزمون بالمبدأ الاسلامي تمام الالتزام في سلوكهم لا يعني تحقيق الوفاء من الامة الاسلامية لله، بهذا الشرط إنما يلزم أن تلتزم الامة أو غالبيتها بالعمل الصالح أي بالمبدأ الأسلامي تلتزم به سلوكاً داخلياً، تبني على وفقه حياتها، وتنشىء على مبدئه أجيالها، وتخطط على ضوئه سياساتها وأحكامها وتلتزم به في علاقاتها الخارجية مع الامم الأخرى، فتتعامل مع سائر الامم باعتبارها أمة إسلامية، من يرغب في صداقتها، فليرغب في صداقتها باعتبارها أمة إسلامية، ومن أبى صداقتها على هذا العنوان فعليها أن تابى صداقتها، وأن لا تعين الكافرين على جماعة مستضعفة اخرى في بلاد الكفار لأن الله قد أخذ عُهداً على هذه الجماعة (الجماعة المسلمة) أن تنصر المسلمين إذا وقعوا في ضيم تحت الكفار «والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا إليكم فإن استنصروكم في الدين فعليكم نصرهم إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق..»

فإذن تلتزم الأمة بالمبدأ ليس في حياتها الداخلية فقط، وإنما في علاقاتها الخارجية مع الأمم الاخرى، تلتزم بأن لا تصالح من يحارب مسلماً من المسلمين أو يعين على مسلم من المسلمين أو يساعد ضد جماعة من الجماعة المسلمة، وعلى الأمة أيضاً أن تلتزم بتبليغ الدعوة الى سائر الشعوب (الدعوة الاسلامية) لأن هذا هو وظيفتها، وهذا هو هدفها وأن الله لم يجعله المسلمين هذا الامر «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً..» فشهادة الأمة هو جزء من العمل الصالح الذي يجب توفره ليتحقق الوعد الالهي في هذه الامة، وهو إبلاغ رسالة الله إلى سائر الامم وإلى سائر الشعوب. وإذا حققت هذه الامة هذه الشروط عندئذ لها أن تطالب في جانب الوعد الالهي الذي وعدها الله «فأوفوا بعهدي أوف بعهدكم..» ما هو الجانب الالهي ؟

«الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما إستخلف الذين من قبلهم..» ليستخلفنهم اى ليجعلنهم خلفاء، فهل في هذه الآية معنى أن تكون للأمة الاسلامية السيادة والهيمنة على سائر أمم الارض وشعوبها، لعل في ذلك معنى إستعماري، ياباه النص القرآني، فالقرآن لا يعترف بالسيادة لبشر على بشر، فالسيادة لله، إذن ما هو معنى الخلافة هنا ؟

فالخلافة تعني ان يجعلهم قادتها، وائمتها، بهم تقتدى شعوبها، ويكونون قادة الى الخير يرشدون سائر أفراد البشرية إلى السلوك الحضاري القويم، ويزيلون كل إعوجاج عن طريق الدعوة والتبليغ بالسلوك البشرى عند سائر الامم بما يضربونه من مثل رائع في إيجاد حضارة إنسانية راقية. هذا هو معنى الخلافة، فالخلافة هنا أن تكون لهم قيادة العالم، لا سيادته. «وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً..» لأن الامة ما لم تصل الى مستوى من القوة بحيث تكون مرهوبة الجانب من أعدائها، عزيزة بقدراتها، فإن أعدائها لن يتركوها تعيش في أمان، من الطامعين في الهيمنة عليها، والراغبين في خيراتها، الحاقدين على وجودها، سوف لن يهدأوا من حربها ومن إثارة المشاكل في وجهها، وفي وجه صنعها الحضاري إلا أن تكون قوية، عزيزة الجانب. أما إذا تمكنت هذه الامة من إستلام مقام القيادة فلا شك أن الأمان، سواء الامن الداخلي أو الامان في المجتمع الدولي يتوفر، وعندئذ تستطيع أن تجهر بكل شيء في مبدئها، بكل تعاليم الدين، وهذا معنى يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، لأن إخفاء بعض حقائق الدين بسبب الخوف من الاعداء وبسبب عدم توفر الامن الداخلي أو الخارجي يجعل الدين غير تام في التطبيق والسلوك البشرى.

فالوعد الالهي للامة هو إستلام القيادة أو إستلام القيادة في العالم وتوفر الإمن الداخلي والخارجي، وهل كل هذا حتى يبقى الدين خالدا ؟ وهل كل هذا لأن الدين في حاجة إلى أن ينتشر، في حاجة الى الخروج الى خارج الأمة لينتشر ؟ العهد بين الله والامة هو من اجل الامة فقط، الامة الاسلامية العهد بينها وبين الله، أو وعد الله لها مشروط، أما وعد الله بالنسبة للدين فهو وعد مطلق، لم يعلق على شرط أبدا، «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».. بكل ما تحتويه الجملة في تفصيلات وليس هناك من شرط علق عليه الحفظ من الضياع والتحريف أبدا، «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

فالله يضمن لهذا الدين البقاء نقياً، صحيحاً قويماً بخلود كتابه المجيد، وهو في غير حاجة لأن يحفظه حافظ دون الله، وحفظ الله له لن يعلق على شرط أن يطبقه قوم أو لا يطبقه قوم، أو أن يتحمله قوم أو لا يتحمله قوم، إن تحملته الأمة فبسعادتها أخذت، وأن لم تتحمله فهي كالأمم السابقة الذين حملوا التوراة، ثم لم يحملوها وايضاً إنتشار الدين وهيمنته وظهور حجته وبرهانه وإنتشاره بين سائر الأمم والشعوب ليس في حاجة الى غير قوته الذاتية التي أودعها الله فيه وإذا كان الله قد جعل المسلمين شهداء على أمم الأرض، وأمرهم بتبليغ الدعوة، فلان هذا واجبهم كمؤمنين يقومون بشرط العمل الصالح في تحقيق القيادة، فمستقبل الدين هو الظهور والانتشار والهيمنة على سائر الأديان والمبادىء الأخرى المعارضة له، عمل به المسلمون أو لم يعملوا به، ففي كثير من الأحيان، وفي بلاد لم يذهب اليها المبشرون تمكن الدين من أفئدة اهلها ودخلت فيه أفواجاً، كما نشاهد في بلاد اندونيسيا وماليزيا وغيرها من بعض الدول، وفي كثير من البلاد ما عاق الدين فيها عن الانتشار إلا المنادون بأسمه، لماذا لم تدخل أوربا في الاسلام طيلة هذه القرون ؟ لماذا لم تؤمن شعوبها بهذا الدين ؟

لعلنا نبرر ذلك بوجود السلطة البابوية في القرون الوسطى، لعلنا نبرر ذلك بحجر الأباطرة على الأفكار، والعقول، لكن هذا لا يصح تبريراً كلياً مطلقا في هذه القضية. فالمسلمون انفسهم حكموا أجزاء كبيرة من أوروبا، ولم يقتنع شعوبها بهذا الدين، منها بلاد الأندلس وهي اليوم تمثل ثلاث دول من أوروبا (البرتغال، أسبانيا، جبل طارق)، لماذا لم يتمكن المسلمون من اقناع السكان الذين عايشوهم في بلاد جعل الله حكمها بايدى المسلمين أنفسهم من الأيمان بالاسلام والمسلمين ؟ وأيضاً حكم المسلمون مناطق كبيرة من أوروبا، من شرق أوروبا، لا تزال الى اليوم على مسيحيتها وإلحادها، ولم تدخل في الاسلام، لماذا ؟ إذا كانت في فرنسا، وبريطانيا والمانيا وغيرها من بلاد أوروبا، حالت السلطة البابوية وهيمنة الأباطرة عن تفهم تلك الشعوب لحقيقة الاسلام، فما الذى حال بين إقتناع هذه الشعوب التي وقعت تحت حكم المسلمين من فهم الاسلام والإيمان به ؟ هم المسلمون انفسهم. المسلمون أنفسهم صاروا عائقا عن تقبل هذه الشعوب بالاسلام، لأنهم حكموا هذه الشعوب حكماً غير إسلامي، لم تجد هذه الشعوب ملوك المسلمين وخلفاءهم وكبارهم وضباطهم تختلف سيرتهم وسلوكهم عما عهدته من سلوك اباطرتها وملوكها.

فإذن لم تتمكن هذه الشعوب أن تعرف حقيقة الدين ؟ ما دام الذين ينادون بأسمه لا يختلف سلوكهم عن سلوك من يحاربون بأسمه. فإذن المسلمون أنفسهم كانوا في يوم من الأيام، ولا يزالون الى اليوم يشكلون عائقاً كبيراً عن إقتناع شعوب كبيرة للاسلام، وها نحن نجد أوروبا وفي وقت تسيطر هي فيه على بلاد المسلمين وتسيطر حكوماتها على حكومات المسلمين، تتقبل الاسلام بصورة متزايدة، الأعداد الذين يدخلون الاسلام في بلاد أوروبا، يتزايدون يوماً بعد يوم، لماذا؟ لأن المسلمين في الوقت الحاضر لا يشكلون كل العائق بالنسبة لتفهم الاسلام عند أولئك الشعوب، إذن الاسلام ينتشر، ويظهر ويهيمن بقوته الذاتية، الوعد الالهي بالنسبة للاسلام لم يعلق على شرط كما علق الوعد الالهي بالنسبة للأمم، ولعل مما مر يظهر أن هناك فرقاً بين مستقبل علق على شرط وبين مستقبل لم يعلق على شرط.

والسلام عليكم ورحمة الله

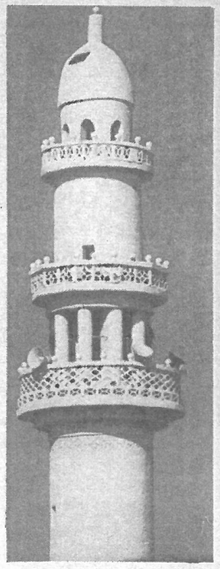

لم يتمكن الاسلام من الانتشار في أوربا لأن المسلمين حكموا تلك الشعوب حكما غير اسلامي

المحاضرة السابعة والثلاثون لفضيلة الشيخ سليمان المدني